Jurnal AL-ANWAR, Persatuan Bekas Mahasiswa Islam Timur Tengah (PBMITT)
Volume 1 (1), Jun 2016: 107-130

قضية (الاستعباد) في شعر محمَّد الفَيتوري

زمري بن عارفين
عماد حمزة مختار الربيع

الملخص

تعدُّ قضية (الرِّق) أو (الاستعباد) من أهم القضايا التي أرَّقت البشرية قديمًا وحديثًا، ونالت من اهتمام المصلحين والدارسين الشيء الكثير. كما تعتبر من القضايا التي أسهم الأدباء والشعراء في إنكارها وشجبها بمختلف اللغات، وفي مختلف الثقافات. وقد كان الشاعر العربي المعاصر محمد مفتاح الفيتوري؛ أسبق الشعراء العرب إلى تناول هذه القضية، ومناقشة قضايا (أفريقيا، والزنجية) نوعًا وكمًّا. وكانت قضية (الاستعباد) هي القضية المحورية في حياته وشعره. ولذلك، هدفت هذه الدراسة لعرض جهود الدارسين لهذه القضية في شعر هذا الشاعر الذي يعد من أهم شعراء العصر الحديث. وقد قام الدارس بالإلمام بالبحوث والدراسات والكتب المنشورة التي تناولت الشاعر في حدود علم الباحث؛ سعيًا للكشف عن الجهد العلميِّ المبذول في دراسة هذه القضية المهمة، ثم قام بعرضها بحسب تعلقها بقضية البحث، بدءًا بالأبعد وانتهاءً بالأقرب. وقد كشفت الدراسة تقاطعاتٍلتلك الدراسات مع مكونات ومظاهر قضية (الاستعباد)، كما توصلت إلى تناولها لطَيفٍ واسعٍ من القضايا التي عكست رؤية الشاعر الإنسانية للعالم، ومعاناته النفسية الناتجة عن أزمة الهوية لديه، وكشفت عن مراحله الشعرية المختلفة، كما أظهرت تمكن الشاعر من أدواته الشعرية والفنية المختلفة. وخلص البحث إلى افتقار الساحة الأدبية والنقدية إلى دراسةٍ منهجيةٍ خاصةٍ بهذه القضية، تكشف بواعثها وتجلياتها الفنية، وتَجلو مختلف جوانبها وفق أسلوبٍ علميٍّ حديثٍ.

الكلمات المفتاحية:أفريقيا، الاستعباد، الزنجية، الفيتوري، الشعر السوداني الحديث.

ABSTRACT

Slavery problem is one of the most important problems that have plagued humanity in past and present time. It gained a lot of reformers

and scholar's attention. Writers and poets contributed also in denounce and condemnation in various languages and cultures. The poet Mohammed Meftah al-Fituri is the first and more Arabic poet who discussed that problem and talked about (Africa and Negro) qualitatively and quantitatively. Furthermore, slavery was his core issue in his life and poetry. This article aimed to show scholars efforts in studying this problem in the poetry of Muhammad al-Fituri, which is one of the most important Arabic poets of the modern era. Therefore, researches, studies, and published books that studied this poet are accessed in order to expose scientific efforts in this important subject and later introduced it according to its relation to research problem starting with further and ending with nearest. This article revealed several results. First, it revealed intersections of these studies with the components and aspects of slavery problem. Second, these studies addressed to broad spectrum of issues that reflected the poet humanity vision about world. Third, it shows the poet psychological suffering that resulted by his identity crisis. In addition, it revealed his various poetic stages. On the other hand, it shows how the poet competence in using poetic tools and various technics. Finally, the review concluded lack of specialized methodology study of slavery problem in Muhammad al-Fituri poetry that expose its motivations and artistic manifestation and shown its various aspects by scientific modern methodology.

Key words: Africa, slavery, Negro, al-Fituri, Sudanese Modern Poetry.

المقدمة

الاستعباد على مرِّ التاريخ

عَرفَ العالم تاريخاً طويلاً من الاستعباد أو الرِّق الذي يرمي لامتهان كرامة الإنسان وسلب حريته، فكان سائدًا في الحضارات القديمة التي قامت على أكتاف العبيد، وقد أشار القرآن الكريم إلى إحداها في سرده لقصة فرعون؛ عندما رد موسى υ على امتنانه عليه بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: 22). كما عانت أفريقيا ويلات الاستعباد وتجارة الرقيق التي كانت تمارس ضد الأفارقة السودزمنًا طويلاً. وقد جاء الإسلام معالجًا هذه المشكلة فضيق مصادرها ووسع مخارجها، وجاء

بحلولٍ عمليةٍ للقضاء على الرِّقِّ تمامًا، كما قامت العديد من المنظمات العالمية والهيئات الحقوقية بتجريم الرِّق والاستعباد بكافة أشكاله.

ورغم ذلك؛ نجد هذه القضية تتخذ أشكالاً عدةً، وصورًا جديدةً في العصر الحديث، (كالاستعمار) حيث يقترن اسم الاستعمار بالإنسان الأوروبي الذي استخدم سلاح العلم للسيطرة على الشعوب الأخرى وتسخير أبنائها لتأمين مصالحه واستثمار ثرواتها لرفاهيته... وقد أطلق الأوروبيون اسم المستعمرات على المناطق التي استولوا عليها في أفريقيا، بالقوة وبالدسائس الخسيسة، وسخروا أهلها في استثمار أراضيهم واستخراج ثرواتهم منها لينعموا بها من دونهم، أو (التمييز العنصري)؛ الذي يراد به: التمييز بين الأشخاص في الوطن الواحد، بسبب اختلاف ألوانهم، وقد نشأت هذه الظاهرة كمشكلة اجتماعية، بعد إعلان تحرير الزنوج في الولايات المتحدة عام 1865م، أو (الاسترقاق الجنسي) وهو إخضاع شخص لسلطة شخص آخر أو إجباره على تعاطي البغاء أو القيام بعملٍ مخلٍّ بالأخلاق واستثماره، وكان يسمى إلى وقتٍ قريبٍ (الاتجار بالرقيق الأبيض)، (الترمانيني1979: 178-199)، إلى غير ذلك من صور الاستبداد والاضطهاد والاتجار بالبشر، حتى أصبحت مشكلةً عالميةً تشكو منها العديد من الشعوب. ويرى أبو المجد (تقديم الترمانيني 1979) أن المجتمع الدولي، والسياسي قد ملأ علينا حياتنا بنصوصٍ ومواثيق تدافع عن الحرية والعدل وتنهى عن الاستعباد والظلم، وتصوغ العديد من وسائل تصفية الرق بصوره كلها؛ لكن هذه التصفية لا تزال مطمعًا بعيد المنال؛ بل إن بعض مكتشفات العلم الحديث قد وضعت في يد الأقوياء من أسلحة الظلم والقهر والاستغلال ما خلق ألوانًا من (القهر الجماعي) لم تكن معروفةً في أيام الرق الأولى.

وقد دأب المصلحون والدعاة منذ الأزل على التنديد بخطر هذه القضية، والتحذير من ويلاتها التي جرّت الكوارث على البشرية وأشعلت فتيل النزاعات الإقليمية حول العالم.

وقد كان الأدب وما يزال؛ ساحةً رحبةً للتدافع القيمي، وميدانًا واسعًا الدفاع عن القضايا العادلة؛ بما يملكه من صدق الرؤية وحرارة العاطفة وفاعلية الأداة. وقد عرض الشعراء العرب قديمًا وحديثًا للعديد من قضايا الظلم والاستبداد؛ إلا أن قضية الاستبداد البشري و(الاستعباد) لم تنل من اهتمام شاعرٍ عربيٍّ معاصرٍ ما نالته من اهتمام الشاعر السوداني (محمد مفتاح الفيتوري) المولود في السودان عام 1936م، والذي شجب هذه الظاهرة منذ وقتٍ مبكرٍ، وجعل من مكافحتها قضيةً لحياته. ويرى طاهر (1999) أن الشاعر منذ ديوانه الأول (أغاني أفريقيا) 1955م، قد أدان بشدة استعباد (الأبيض) لأخيه الإنسان (الأسود)؛ حيث إنَّ الواقع أن إدانة الاستعباد في شتى صوره ونماذجه كانت وسوف تظل من أهم المبادئ التي كرّس لها الفيتوري رسالته الشعرية، فلا تكاد تخلو قصيدةٌ لديه من التصريح أو الإشارة أو التضمين إلى بواعث الاستعباد البشرى، ومظاهره، وسوءاته على مختلف المستويات: استعباد الفرد للمجتمع، واستعباد المجتمع للفرد، واستعباد المجتمع للمجتمع.

الشاعر محمد الفيتوري، ومفهومه للاستعباد

تعريفٌ بالشاعر

تبوأالشاعر محمد الفيتوريمكانةًمرموقةًبينالشعراءالعربالمعاصرين، وقد كان لقضية الاستعباد والاستبداد –وخاصةً في أفريقيا –النصيب الأكبر ضمن القضايا التي تناولها في دواوينه وأعماله الأدبية؛ وذلك بسبب تجربته الحياتية التي كان يعاني فيها من عقدة العنصرية والاغتراب؛ ويوضح العالم (1967) خلفية الشاعر العرقية التي انحدر منها وساهمت في تكوين شخصيته؛ فهو زنجي الجد،مصريُّ الأم،سودانيٌّ الأب،من أصولٍ ليبية. كما يوضح موسى (1985) الخلفية السياسية التي عاصرها الشاعر ولم يعرف فيها الهدوء والاستقرار؛ فالبيئة التي عاش فيها كانت مليئةً بالأحداث السياسية والثورات، والسخط والسأم والشكوى والأنين في مختلف مجالات الحياة، وكانت على شيءٍ من الخطورة بحيث أدت بالبلاد إلى عهودٍ مظلمةٍ من عهود الاستعمار والتحكم برقاب العباد، والتضييق على الحريات، وذلك في بلدين اثنين هما مصر، والسودان. فقد ولد في

السودان ونشأ في مصر حيث انتقل إليها صغيرًا، وعانى ما عاناه ذانك البلدان. كما يرى العالم (1967) أن بشرة الشاعر السوداء كان لها أثر في زيادة حساسيته، ورغم أنه قضى الجانب الأكبر من حياته في مدينة (الإسكندرية)؛ إلا أن بشرته السوداء كانت تقيمفي داخله حاجزاً كثيفاً بينه وبين المدينة التي يحيا فيها،مما حرمه المشاركة والاندماج،وشحذ حساسيته،وأجَّجَ في باطنه مشاعر مريرة. وقدكانت هذه الحساسية وتلك المشاعر المتأججة عاملاً محرّكًا لعاطفة الشاعر وموهبتها لأدبية التي أنتجبها مختلف دواوينه ومسرحياته الشعرية التي تنضحب الثورة على الاستعباد والاستبداد في العالم منحوله، وتظل تلاحقه أينما حل ومهما كتب بأزمتها النفسية والثقافية الطاحنة.

والشاعر – قبل ذلك وبعده – شخصيةٌ أدبيةٌ لها مكانتها في مضمار التجديد الشعري، بحيث لا يصح أن يؤرَّخ للشعر العربي الحديث في نصف القرن المنصرم دون الوقوف أمام تجربته الشعرية الغنية. ويرى بدوي (1981) أنه إذا كان الفيتوري والشعراء السودانيون في الخمسينات؛ قد حرَّكوا ركود القصيدة العربية وملؤوها بالغضب والنار والتمرد مبتدئين ثورتهم من واقعهم الحزين، فإنَّ هذه الموجات قد صبّت في الغالب في نهرٍ كبيرٍ اسمه أفريقيا، فأصبحت عندهم رمزًا لتمزقهم وضياعهم وغليانهم، وأصبحت عند الفيتوري معادلاً لمعاناته، وقناعًا يستطيع من ورائه أن يصرخ، وأن يثور، بل وأن يحقد ويتحدَّى.

الاستعباد عند الفيتوري

تميز هذا المصطلح عند الفيتوري بخصوصيةٍ فنيةٍ تشكلت من خلال الدلالات التالية:
1) دلالة الميز العنصري: حيث تُشكّل هذه الدلالة عند الشاعر؛ المنبع الأول لكل المآسي التي ألـــمّت بالإنسان الأسود متكئةً على قضية اختلاف اللون. ويوضح بوحمالة (2004) أن جميع الويلات التي ألمت بالزنوج من استرقاقٍ، واستعمارٍ، وتقتيلٍ، واضطهادٍ؛ تجد تبريرها في الحجة اللونية. فقد دأب البيض على تكريس قاعدةٍ لونيةٍ تفيد

أن بياض الأوروبيين هو الأساس الجوهري لمغايرتهم الامتيازية، وأفضليتهم الإثنية والحضارية، فيما تمثل الألوان الأخرى، وفي مقدمتها اللون الأسود؛ علامةً على التدني العرقي والحضاري. وقد شجب شاعرنا هذه الحجة الواهية، وجعل من دحضها أحد أهم قضاياه.

2) دلالة الاسترقاق: وهي تعني من وجهة نظر الشاعر مأساة استعباد العالم الغربي للزنوج في القارة الأفريقية على مر التاريخ بدءًا من القرن الخامس عشر، عن طريق القبض عليهم في موطنهم ثم ترحيلهم قسرًا إلى العالم الجديد، وامتهان آدميتهم من خلال تجارة العبيد،واستغلالهم بعد ذلك في شتى صور الاستغلال. وقد عرض الشاعر في أشعاره ألوانًا من مآسي الزنوج خلال هذه التجارة الرهيبة، وأظهر وجهها اللاإنساني البغيض، ومدى الظلم الماحق الواقع على هؤلاء المستعبدين.

3) دلالة الاستعمار: حيث تمثل بعدًا آخر من أبعاد مصطلح الاستعباد لدى الفيتوري، تلا مأساة استرقاق الزنوج؛ وذلك حين تكالبت الدول الأوروبية على بسط نفوذها على الأمم والشعوب واستنـــزاف ثرواتها. يقول الزهيري (1972) أعقب عهد الرق والنخاسة عهد تسابق أوروبا لاحتلال إفريقيا في القرن التاسع عشر وما تلاه من انعقاد مؤتمر برلين سنة 1884 لتوزيع القارة السوداء على الدول الاستعمارية. وكان الاستعمار لدى الفيتوري هو الوجه الأممي للاستعباد والذي عمم الظلم وبسط سطوته على شعوب الأرض بقانون القوة والظلم الذي لم تسلم أفريقيا ولا الدول العربية من بطشه، فكان الفيتوري أحد أهم الأصوات المدافعة عن حق تلك الشعوب في الحرية والكرامة.

الدراسات حول الشاعر محمد الفيتوري وشعره

تنوعت الأوعية البحثية التي تناولت الشاعر محمد مفتاح الفيتوري، بين رسائل علميةٍ منشورةٍ وغير منشورةٍ، وكتبٍ نقديةٍ، ودراساتٍ أدبيةٍ، وسيرٍ عن حياته؛ ذاتيةٍ وغيريةٍ،

ومقالاتٍ علميةٍ، ومقابلاتٍ صحفيةٍ، إلى غير ذلك. كما تنوعت –تبعًا لذلك –أساليبها في التناول؛ فدرس بعضها حياة الشاعر، ودرس الآخر شعره؛ متناولاً قضاياه تارةً ومكوناته الفنية تارةً أخرى. واتخذته بعض الدراسات أنموذجًا لبعض الظواهر السياسية أو الاجتماعية أو الأدبية في العصر الحديث، كما سلكته دراساتٌ أخرى ضمن شعراء جمعتهم محاور تلك الدراسات. كما اختلفت كذلك من ناحية شمولها لإنتاج الشاعر، إلى غير ذلك. وقد امتد زمن تلك الدراسات منذ عام 1964، بعد صدور ديوان الشاعر الأول (أغاني أفريقيا)، وحتى وقتنا الحاضر. وفيما يلي؛ أعرض الدراسات السابقة عن الفيتوري بحسب بعدها أو قربها من قضية البحث، ومدى تناولها المنهجي الدقيق لأبعاد هذه القضية ودلالاتها في شعر الفيتوري؛ بدءًا بالأبعد والأعم تناولاً، وانتهاءً بالأقرب والأشد تعلقًا بقضية البحث للتركيز على موضوع بحثنا، وتحديد الدراسات التي تماسَّت مع مشكلته بشكلٍ أدق، وأحسب أن هذا هو الهدف المنشود من هذا البحث.

ففي الإطار العام الذي يتناول –فيما يتناوله–حياة الشاعر وسيرته؛ كتب العديد من المؤلفين بأساليب مختلفة. فتناولت غِـــرِّيد الشيخ (2008) الشاعر، في كتاب "أيام مع الفيتوري"، ضمن سلسلة كتبٍ بعنوان (أيام معهم). وهي مجموعةٌ قصصيةٌ تمثيليةٌ تحكي كلٌّ واحدةٍ منها عن لقاءٍ متخيلٍ مع أحد الشعراء بأسلوبٍ حديثٍ، وفي هذا الجزء تحاور المؤلفة الفيتوري وتستنطق شعره، وتتعرف على حياته،وبعض قضاياه،وسمات شعره من خلال نثر مقتطفاتٍ من دواوينه، وذكر ما كتب عنها. والكتاب أشبه بقصةٍ سرديَّةٍ ذات طابعٍ تعليمي، موجهةٍ إلى الناشئة واليافعين.

وكتب نجيب صالح (1984) كتابًا بعنوان "محمد الفيتوري والمرايا الدائرية"، تحدثفي القسم الأول منه عن نشأة الشاعر ومراحل حياته، وشاعريته، وعرض فيه لأهم السمات الفنية التي ميزتها. ثم خصص بقية أقسام الكتاب لنشر ما لم ينشر من إنتاج

الشاعر الشعري والنثري، إضافةً إلى إعادة نشر بعض المقالات التي نشرت حوله، والمقابلات الصحفية التي أجريت معه ونشرت في صحف متفرقة متناولةً آراء الشاعر المختلفة عن الحياة والسياسة والفن والشعر الحديث.

كما تناول أحمد محمدية (2008) حياة الفيتوري في كتابٍ بعنوان "محمد الفيتوري، ملامح من سيرة مجهولة"، تحدث فيه مؤلفه –في أسلوبٍ سرديٍّ–عن بعض مراحل حياة الشاعر، وقدم – بوصفه صديقًا له–صفحاتٍ مجهولةً منها، وعديدًا من التفاصيل الشخصية والاجتماعية والسياسية المتعلقة بحياة الشاعر. كما عرض لمسيرته العلمية الثقافية، وبداياته الشعرية، وحياة الاغتراب التي عاشها متنقّلاً بين مختلف البلدان. كما قدم المؤلف في نهاية الكتاب نماذج من شعر الشاعر، وصورًا ضوئيةً له في مختلف مراحل حياته.والكتاب أشبه بكتب السيرة الغيرية الانتقائية التي تركز على بعض جوانب حياة الشخصية ولا تستوعبها كاملةً؛ أو هي شهادةٌ على مرحلةٍ عاشها المؤلف قريبًا من الفيتوري شاهدًا عليه وعلى تلك المرحلة.

وتناولت إيمان بقاعي (1994) سيرة الشاعر كذلك في مؤلفٍ بعنوان "الفيتوري؛ الضائع الذي وجد نفسه" ضمن سلسلة (الأعلام من الأدباء والشعراء)، حيث قسمته قسمين؛ تحدثت في الأول منه عن شيءٍ من سيرة الشاعر وطفولته، وعن بعض مكونات ثقافته، والناحية الصوفية منها، وموهبته الشعرية، معلقةً في ذلك على مقتبساتٍ من شعره. أما القسم الثاني فخصّصته لعرض قصائد مختارةٍ من شعر الشاعر، وقد غلب على أسلوبها السرد التاريخي الوصفي.

وقد تنوعت تناولات الدارسين لشعر الفيتوري؛ ما بين التذوقي العام، والنقدي الدقيق.وتنوع المحتوى كذلك؛ نظرًا لاختلاف السياقات التي دُرس من خلالها. فنجد – مثلاً–دراساتٍ تناولت الشاعر ضمن منظورٍ نقديٍّ محدَّدٍ. في نتاج عددٍ من الشعراء بينهم الفيتوري، أو نجد بعضها الآخر قد اتخذ من شعر الفيتوري نموذجًا له، فيما درس

بعضها الآخر تلك الظواهر والأغراض في شعره خاصةً. كما اختصت دراساتٌ أخرى بتناول آلياته الفنية. ونشير بدايةً إلى دراسةٍ تناولت شعره ضمن التناول التذوقي العام. حيث كتبت جليلة رضا (1987) كتابًا بعنوان "وقفةٌ مع الشعر والشعراء، الجزء الأول"، تناولت فيه الفيتوري تناولاً ذوقيًا انتقائيًا ضمن من تناولهم الكتاب من الشعراء المعاصرين. وتصف المؤلفة عملها في الكتاب بأنه وقفاتٌ قصيرةٌ مع بعض الشعراء المحدثين لم تقدم فيها سوىالصفحة المشرقة لكل شاعرٍ بعيداً عن المآخذ التي يمكن أن تؤخذ عليه. ولذا؛ لا يمكننا اعتبار عملها نقداً علمياً منهجيًا؛ إنما هو أقرب للعمل التذوقي الانطباعي.

ثم نشير إلى الدراسات النقدية التي تناولت الشاعر تحت مفاهيم نقديةٍ عامةٍ، أو اتخذته نموذجًا لها؛ كدراسة محيي الدين صبحي (1999) الذي جمعدراساته عن مجموعةٍ من شعراء العصر الحديث ضمت الفيتوري؛ في كتابه "الشعر طقس حضارة؛ دراسة لنتاج: جوزف حرب، محمد الفيتوري، أحمد المجاطي، معين بسيسو، عمر أبو ريشة"؛ عارضًا لمناهج أولئك الشعراء من خلال طرح ثلاثة محاور نقديةٍ رئيسةٍ؛ هي: أدبية النص وخصائصه المميزة له عن سواه من الفنون والأنماط، وخصوصية النص في استدعاء المنهج الملائم له، ووسائل تحليل الصور الفنية ومعالجتها. وتناول المؤلف شعر الفيتوري جزئيًّا من خلال ديوانه (يأتي العاشقون إليك)؛ موظفًا شعره في الإجابة عن محاور الكتاب، ومبرهنًا على شاعريته من خلال نظريات الأدب، ومفهومات الأدبية.

وكذلك دراسة محمد قوبعة (1988)، بعنوان "النص الشعري بين الدلالة والإبداع الفني؛ قصيدة: (أحزان المدينة السوداء) لمحمد الفيتوري نموذجًا". حيث فرّق في مقدمتها النظرية بين الشعر والنثر، مشيرًا إلى تطور الكتابة الشعرية من الشعر العمودي إلى الشعر الحر، وما يستلزمه ذلك من تغيير طرائق الممارسة النقدية؛ وملتزمًا هذا المعيار في تحليله لقصيدة الفيتوري موضوع الدراسة. ويشرع الباحث في محاور الدراسة الأربع التالية:

بناء النص العام. والمستوى الصوتي. ثم المستوى النحوي التركيبي، ثم المستوى البلاغي. ثم ينتهي إلى المستوى الدلالي الذي تجتمع فيها مستويات النص مكونةً نظامًا مكتملاً مغلقًا. ويختم الباحث دراسته بالحكم على النص بأنه أحد النصوص المعاصرة الدائرة حول ثنائية (الموت والانبعاث) التي ترددت لدى الكثير من الشعراء العرب المعاصرين على اختلاف وسائلهم الفنية.

ثم اختلفت وجهات الدراسات النقدية بعد ذلك؛ تبعًا لاختلاف أهدافها وموجهاتها المنهجية؛ فركز بعضهم على الآليات الفنية، وتناول الآخر القضايا النقدية، وجمع ثالثٌ بينهما، ففي إطار الدراسة الفنية مثلاً؛ حظيا لجانب الفني في شعر الفيتوري باهتمام الدارسين، وتنوعت الآليات والمحاور الفنية المدروسة حسب تناولهم للمكونات الأدبية والفنية في شعره. فقدَّم يعقوب عبدالله يعقوب (2009)، دراسةً بعنوان "الشعر المسرحي في السودان، عبدالله الطيب والفيتوري أنموذجًا". وهي رسالة دكتوراه في جامعة أمدرمان، بالسودان، ركزت على استنتاج خصائص هذا الفن وآلياته في الشعر السوداني من خلال دراسة نماذجه لدى كلٍ من الفيتوري وعبد الله الطيب. كما اهتمت بشعر الفيتوري من الجانب الفني المسرحي، عبر تناول آلياته الدرامية والمسرحية وتحليلها فنيًا؛ واستخلاص نتائج نقدية حول هذا الغرض الفني في الشعر السوداني عامةً.

فيما ركز سلطان الشعار (2007)، في رسالته العلمية الموسومة "التراث في شعر محمد الفيتوري"؛ بشكلٍ خاصٍ على الجانب التراثي من شعر محمد الفيتوري، من خلال دراسة الرموز التراثية المختلفة التي تناولها في شعره، وفن السرد، واللغة التراثية في شعره. وتوصل الدارس إلى أن الشاعر ينطلق دومًا في جانب (الرمز التراثي)، من واقعٍ مستعبدٍ سليبٍ يفرض قيوده وسطوته عليه. كما استطاع الشاعر توظيف ثقافاتٍ مختلفة المشارب في تجربة أسطرة الشخصيات، وحضرت الرموز الشعبية والتاريخية في شعره، وتعالقت نصوصه الحاضرة مع النصوص التراثية. ويعترف الدارس بتعجَّله في الوقوف عند بعض المراحل المهمة في حياة الشاعر نظرًا لطبيعة بحثه، كما يرى الحاجة ملحةً

لرصد حياة الشاعر ونشأته وثقافته في بحثٍ مستقلٍ لما لها من الأهمية العظمى في دراسة حياة الشاعر، مؤكدًا على أحقيته في تبوأ مكانته بين صفوة الشعراء المحدثين.

وتناول عبد الرحمن كرم الدين (2012) في دراسته: "السرديفيشعرالفيتوري؛قصيدة (مقتلالسلطانتاجالدين) نموذجًا"؛الآلية السردية في شعر الفيتوري من خلال التحليل النقدي لمكوناتها في هذا النص. فمهّد لذلك بذكر علاقة الشعر بالسرد نظريًّا، قديمًا وحديثًا، ثم انتقل إلى تحليل القصيدة نقديًا عبر تناول أحداثها وشخوصها، وأسلوب الخطاب السردي وعناصره. وخلص إلى اقتدار الشاعر فنيًا على تقديم أفكاره ورؤاه عبر توظيف تقنيات الأسلوب السردي الشعري في نقل واقعةٍ تاريخيةٍ معروفةٍ إلى الحاضر المعيش. كما أشار إلى تمكن الشاعر من أدوات السرد الشعري وتقنياته. كما جاء النصّ محققًا بعضًا من أهدافه المألوفة في شعره عامة، كالثورة على الإنسان الأبيض الظالم المستعبِد، واستنهاض أفريقيا، واستشراف المستقبل الواعد بالحرية والعدالة. مما يؤكد جدارة الشاعر في هذا الفن، وتوفّر قصائد عديدة في دواوينه يمكن أن تنهض بدراسةٍ علميةٍ مستقلةٍ تتناول السردي الشعري في شعر الفيتوري عامةً.

وقدمت زينب منصوري (2011) دراسةً بعنوان "ديوانأغانيأفريقيالمحمدالفيتوري؛ دراسةٌ أسلوبيةٌ)، قامت فيه بدراسة أول دواوين الفيتوري، في ثلاثة فصولٍ مسبوقةٍ بمهادٍ نظريٍّ عن الأسلوب والأسلوبية، ومعتمدةً هذا المنهج في دراسة ثلاثة مستوياتٍ لشعر الشاعر في الديوان؛ المستوى الصوتي، والمستوى النحوي التركيبي، والمستوى الدلالي. كما درست الرمز بنوعيه العام والخاص، ووجدت توظيف الشاعر لها ينم عن وعيٍ بمرجعيتها التاريخية، وقدرةٍ على ربطها بدلالاتٍ جديدةٍ كشف الإلحاح عليها عن المحاور النفسية القائمة في نفس الشاعر.

ولا نلمح تركيزًا مباشرًافي الدراسات السابقة على قضية (الاستعباد) في شعر الفيتوري؛ نظرًا لتركيزها على الآليات الفنية في شعر الشاعر.ونظرًا لدخول قضية البحث في حيز المعاني والقضايا الأدبية؛ ولذلك نلاحظ أن أكثر الدراساتالتي تماسَّت مع هذه المشكلة؛ هي الدراسات التي تناولت القضايا الأدبية،أو التي اهتمت بالأغراض والظواهر الشعرية المختلفة في شعر الفيتوري، سواءً كان ذلك مصحوبًا بتناول بعض الآليات الفنية في شعر الشاعر؛ أملا. وسواءً أشركت الدراسة الشاعر مع غيره من الشعراء في دراسة القضية، أم اتخذته نموذجًالها، أم خصته وحده بعنايتها. مشيرًا إلى حظوة هذه الدراسات بذات الدرجة من التنوع الذي رأيناه في الآليات؛حيث مال بعض الباحثين إلى دراسة خلفية الشاعر العرقية وهويته الإثنية، وتناول الآخرون انتماءه الوطني، بينما ركز آخرون على تجاربه الحياتية، إلى آخر القضايا والظواهر التي تمت دراستها.

كتبت نسيبة الحاج (2012) دراسةً بعنوان "تجربة الفيتوري الشعرية دراسة تحليلية". وهي رسالةٌ مكملة للحصول على الماجستير في (كلية التربية بجامعة الجزيرة، بالسودان)، وتهدف منها إلى الوقوف على تجربة الفيتوري الشعريةباختيار شعره حقلاً لها.واحتوت على نبذةٍ عن مولد الشاعر، ونشأته، والوظائف التي شغلها. كما تعرضت الدراسة للقضايا التي شغلت ذهن الشاعر، وانتقاله بين مختلف المدن، مما أكسب شعره تلاقحاً وحيوية، وأضفى عليه مظاهر الشوق والحنين جرَّاء معاناة الفراق ومقاساة الغربة. كما اشتمل البحث على خاتمةٍ وتوصياتٍ بدراسة مثل هذه الموضوعات التي تهدف لإحياء الشعر السوداني ورواده، ومعالجة قضايا المجتمع السوداني ومشاكله.

كما قدم عايدي جمعة (2012) كتابه "شعر محمد الفيتوري؛ الرؤية والتشكيل"؛ مقسمًا إياه لمحورين، الأول هو: الموضوع، وتحدث فيه عن إسهام الشاعر في ثلاث قضايا، هي: (التصوف) حيث مزجه بقضايا عصره. ثم (الالتزام والثورية) حيث استطاع المحافظة على جمال صياغته الشعرية رغم التزامه بقضاياه. ثم (المرأة) التي تعددت نماذجها دون أن تتحول عنده إلى منبعٍ للطاقة الكونية. أما في المحور الثاني وهو الصياغة

الجمالية في شعره: فقد تناولها المؤلف في خمسة فصولدرس فيها شعر الفيتوري من داخله، دون الاعتماد على تفصيلاتٍ خارجيةٍ عن حياة الشاعر أو مجتمعه أو فترته التاريخية.فبدأ بدراسة (اللغة) ثم (الصورة) ثم (توظيف التراث) ثم (البناء الدرامي) وأخيرًا (الموسيقى). والكتاب أشبه بدراساتٍ منفصلةٍ يعترف المؤلف في خاتمتها بصلاحية كلٍّ منها للاستقلال ببحثٍ علمي له منهجه ونتائجه، كما ينفي إحاطته بكل ما ينبغي أن يقال عن شعر الفيتوري.

ولأن الصوفية هي مرحلة التصالح مع الذات والشفاء من عبوديتها وعيوبها المتمثلة في كراهية الآخر؛ تأتيفاعليتها في تخليص الشاعر من عقدة العبودية. وتشهد لذلك ثلةٌ من الدراسات،كدراسة إبراهيم منصور (1996) في كتابه "الشعر والتصوف؛ الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر (1945-1995)"، الذي قدَّم له بفصلين عن الفلسفة الصوفية، وبُعدها في المذاهب الشعرية والفلسفية المعاصرة، ثم أعقبه بتسعة فصولٍ عن الشعراء المعاصرين الذين تأثروا بالتصوف تأثرًا واضحًا فيما بعد الحرب العالمية الثانية، متناولاً الفيتوري في فصلٍ حكى فيه عن نشأته وبداياته الشعرية، متوقفًا أمام رؤيته الرومانتيكية. ثم مضى يحلل مجموعته الشعرية (معزوفةٌ لدرويشٍ متجولٍ) التي تأثر فيها بالرؤية الصوفية مستخدمًا تقنية القناع. وأشار إلى احتمال تأثره في بعض المواضع بالشاعر صلاح عبد الصبور، ومشابهة ابتهالاته لصنيع أبي حيان التوحيدي في كتاب (الإشارات الإلهية)، وذلك في روحها الصافية، ونفَسِها الصوفي المتسامي. خالصًا إلى ظهور موقف الصوفي الثوري عند الفيتوري مكتملاً وداعيًا للثورة والمحبة اللتان تمثلان حرية الإنسان وكرامته، وطريقه لاسترداد ما فقده من مجدٍ وسؤددٍ.

وفي ذات الموضوع؛ كتب محمد بنعماره (2001) كتابًا بعنوان: "الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر". وهو –كما يُظهر عنوانه – يدرس تأثير التجربة الصوفية في الشعر العربي المعاصر. وقد تحدّث المؤلف في الباب الأول منه عن علاقة كلٍ من الفن

والشعر بالتصوف. ثم تناوله في الباب الثاني للتجارب الصوفية عند بعض الشعراء العرب، مفسرًا التجربة الشعرية عند الفيتوري، ومحللاً قصيدته (ياقوت العرش) من خلال محور اعتناق الحكمة الصوفية.

كما تتبع عادل نعمان (2006) في رسالته العلمية:"النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر"؛ الحركة الصوفية في الشعر العربي الحديث من خلالتلمس أثر التجربة الصوفية في أدب عددٍ من الشعراء المعاصرين. وكان الفيتوري نموذجًا خصص الباحث له الفصل الأخير من الدراسة الذي أفرده لدراسة تجربة الفيتوري المتفردة. وخلص إلى أنه لا يتكئ كثيرًا على توظيف الشخصية الصوفية التاريخية؛ بل يتخذ من الصوفية قناعًا يبرز من خلاله مواقفه من القضايا التي يريد طرحها. فكانخير معبرٍ عن الصوفية الثورية التي حمل فيها هــَمَّ الأمة التاريخي والحضاري كما حمل هــَمَّ الذات المعذبة في هذا العالم والمكبلة بقيم المادة وزيف التملك وسيطرته.

وتشير دراسة حامد طاهر (1999)بعنوان "محمد الفيتوري" ضمن سلسلة (شاعر ومختارات)؛ إشارةً مهمةً وإن كانت عابرةً لمحورية مبدأ (إدانة الاستعباد البشري) في شعر الفيتوري. حيث تعرَّضت لعوامل الشاعرية عند الفيتوري، المرتكزة على الموهبة، والتكنيك الفني، والرسالة الشعرية؛ عبر التناول الفني لهذه المحاور في مقتطفاتٍ من قصائد الفيتوري. متوصلةً إلى أن موهبة الفيتوري ظهرت لديه في عمرٍ مبكرٍ متصفةً بقدرٍ عالٍ من النضج الفني، وأن إدانة الاستعباد البشري هو أهم المبادئ التي كرس الفيتوري شعره لها. كما أكدت الدراسة على موهبة الشاعر واحتياجها للمزيد من الدراسات الجادَّة للوقوف على ما أحدثه الشاعر من تطويرٍ في القصيدة العمودية.

كما تتناول الدراسات التالية أبعاد القضية الأفريقية في شعر الفيتوري، والحرية والثورة. ومن هذه الدراسات دراسةعبد الفتاح الشطي (2001) في كتابه "شعر محمد الفيتوري؛ المحتوى والفن"؛ الذي قسمه قسمين، تحدث في الأول منهما عن القضايا التي

يدور حولها شعر الفيتوري؛كأفريقيا، والحرية، والغربة والوطن، والصوفية، والفلسفة، بينما تحدث في القسم الثاني عن شعرية المكونات الفنية في دواوين الشاعر منذ الخمسينات وحتى أواخر التسعينات، مازجًا حديثه في القسمين بمقتبساتٍ نقديةٍ وتحليلٍ مقتضبٍ لمختاراتٍ شعريةٍ من دواوين الشاعر.

ونجد كذلك مقالة عبد الرحمن البجاوي (1964) بعنوان "أفريقيا في الشعر العربي"، التي يشير فيها إلى ظاهرة التفاف كثيرٍ من شعراء الأقطار العربية حول أفريقيا. محاولاً رسم صورةٍ لهذه القارة من خلال تناول بعض قصائد ديوان (أغاني أفريقيا) للفيتوري، وديوان (باقة نور) لعبده بدوي. وقد شهد الكاتب بطاقة الفيتوري الشعرية الأفريقية في رسم صورةٍ بارزة المعالم لهذه القارة، خالعًا عليها مأساته وواقعه المرير. كما عرض الصور الشعرية المجسدة لذلك في مقاطع من قصائد الديوان. مستنتجًا صدق الشاعر، وقوة إحساسه بمأساته كإنسانٍ يعيش في أفريقيا، وارتباطه الشديد بالكيان الأفريقي، ومبشرًا بيقظة أفريقيا وانطلاقتها الثورية الكبرى.

وفيما نمضي في استعراض المزيد من الدراسات يزداد التركيز على دلالات (الاستعباد) عند الفيتوري عبر كشف جذور المشكلة، واستعراض أهم مكوناتها لديه؛ وهي معاناته من قضية (العنصرية) النابعة من شعوره الطاحن بهويته الزنجية، التي عمَّق (الاستعمار) أثرها في نفسه، وفي العالم من حوله. على اتفاقٍ بين الباحثين حول محوريتها في شخصيته وشعره، واختلافٍ بينهم في حقيقتها ومكوناتها، ومقدار تأثيرها في شعره.

وتشير إلى ذلك أيضًا دراسة منيف موسى (1985)، في كتابه "محمد الفيتوري؛ شاعر الحس والوطنية والحب"؛الذي قسمه بابين. تناول في الأول منهما الملامح السياسية والأدبية لعصر الفيتوري، كما عرض لحياته، ومراحل تكوّن موهبته الشعرية وتطورها، وتأثره بالتيارات الفنية المختلفة.وفي الباب الثاني قام بدراسة المحاور الثلاثة الظاهرة في

عنوان الكتاب من خلال تحليلٍ لمختاراتٍ من دواوين الشاعر، مقتصرًا في دراسته على دواوين الشاعر المنشورة حتى عام (1976). ويرى المؤلف أن قضية (الزنجية) أحد أهم الأمور التي عالجها الشاعر، وأبعدها أثرًا في شعره، وأن الاستعمار ساهم في تعميق هذه النزعة لدى الشعراء السودانيين وصولاً إلى الفيتوري؛ لكنها أشد ثوريةً ودمويةً لديه، وذات طابعٍ ساخرٍ هازئٍ تفضح واقعه الأسود. وقد توصل المؤلف إلى أصالة موهبة الشاعر التي بدأت زنجية الطابع، ثم تلونت فيما بعد بالسمات العربية الأصيلة، ثم بالإشراقة الإنسانية العالمية، وأن الحب هو أحد مرتكزات شعره، وأن عدم ثبات المجتمع العربي تلك الفترة، كان سبب تقلب الشاعر بين التيارات الفنية المختلفة إلى أن استقر على طريق الواقعية الاشتراكية. معترفًا أنه أحد رواد حركة الشعر العربي المعاصر الذين لم يوفوا حقهم من الدرس.

كما يظهر أثر دلالة (الاستعمار) في دراسة الباحثة ليلا آبادي (2013) من خلال الإشارة إلى وجهٍ آخر من وجوه شخصية الشاعر المقاومة للظلم والاستعباد؛ لكن هذه المرة يكون الوجه عربيًّا. وذلك في تناولها لقضية (القومية) في شعره، عبر دراستها: "القومية في أشعار محمد الفيتوري"، حيث بدأتها بسرد نبذةٍ عن حياة الشاعر وشعره مصنفةً إياه ضمن مقدمة شعراء المدرسة الواقعية من حيث القدرة والصناعة. كما تحدثت عن روافد شعره، وطوابعه، والتزام الشاعر بقضاياه. وتخلص الكاتبة – من خلال تحليل مختاراتٍ من شعره – إلى أن قومية الفيتوري نابعةٌ من إحساسه العربي الخالصالذي هو أسبق من أفريقيته؛ فلا عجب أن نجد في شعره التيار العربي والقومي؛ حيث اكتشف بنظرته العميقة للعالم العربي أن الطغيان المسلط على رقاب العرب من الداخل والخارج أشد وقعًا وأكثر إيلامًا من الظلم المحيق بأفريقيا والأفريقيين. فكان يصور لنا بشعره الواقعي أحاسيس الرجل الأسود الذي يدافع عن الحرية أينما كانت، مستلهمًا التراث العربي في شعره. فلم يتوقف دوره وتأثيره الشعري عند وطنه؛ بل كانت تشغله كل حوادث العالم العربي. واتسمت قومياته بالروح الحماسية، والأسلوب المتفرد الذي يؤمن أن الشعر لا ينبغي أن يهدف إلى تصوير الأشياء ونقل الطبيعة؛ بل

ينبغي أن يكون أداة فضحٍ وتحريضٍ وثورةٍ وتحدٍّ؛ مما جعله من أهم شعراء الأمة العربية، بل جعله مواطنًا عالميًّا.

وتكشف الدراسة التالية عن المآزق القيمية التي تعرض لها الفيتوري في مواقفه إبان دخوله معترك السياسة وساهمت في تشكيل وعيه بالقضية، وذلك من خلال تناول شعره السياسي في دراسة عوض محمد (2012) بعنوان "الشعر السياسي في العالم العربي؛ الفيتوري أنموذجًا". التي درس فيها ظاهرة (الشعر السياسي) في العالم العربي، من خلال أشعارالفيتوري. مقسمًا إياها إلى ثلاثة فصول، تناول الأول منها ملامح من الحياة السياسية والأدبية في العالم العربي الحديث، وتناول الفصل الثاني حياة الفيتوري، ومكونات شخصيته، وأثرها في شعره. أما الفصل الأخير فكان عن دوافع التفكير السياسي لدى الفيتوري، وموضوعاته، وتطوره، متتبعًا المرحلة الإفريقية، ثم العربية في شعره السياسي. وانتهي البحث إلىأن التحولات السياسية التي عاشها العالم العربي والأفريقي، أظهرت شعراء على المسرح السياسي، وارتبطت بكثيرٍ منهم، كالفيتوري الذي عبرت أشعاره عن روح الرفض في تلك المرحلة، كما اتسمت بالنزعة الإنسانية وظهور الدعوات القومية والأممية عنده. كما شكلت النشأة الصوفية، والنزعة الزنجية، وأسفاره، تجربتهالشعرية، منطلقًا في تجديده من الواقعية في تناول مضمون الحياة التي شكلتها ظروف ما بعد الحرب العلمية الثانية. وقد تميز الفيتوري بالجمع بين الشعر وتولي الوظائف السياسية. ولأنه كان ينطلق دومًا من دوافع إنسانية؛ كان يقع أحيانًا في تباين المواقف، ما بين مؤيدٍ لحظةً ومعارضٍ لحظةً أخرى. وقد عبر شعره عن خصوصية الشأن السوداني الذي انطلق منه إلى القضية الأفريقية الأصيلة التي بقيت في تجربته الشعرية رغم تطورها، كما تناول قضايا الواقع السياسي في كل البلاد العربية، وظهر البعد الإسلامي في تغنيه بالشعوب الإسلامية في كل أنحاء العالم، وكانت الحرية هي القاسم المشترك بين كل المراحل. وهو يعد واحداً من رموز الشعر السياسي،وأبرز من تناولوا القضية الأفريقية في الشعر العربي الحديث.

وتحلل الدراسات التالية دلالتي (الميز العنصري)، و(الاسترقاق) عند الفيتوري لتعطيهما أبعادًا حضاريةً أعمق. فدراسة مناف منصور (1975)، بعنوان "تجربة المدينة عند الفيتوري"؛ قامت بتحليل صراع الفيتوري الوجداني عند مواجهة واقعه الحضاري المعاصر، من خلال دراسة نصوصٍ من دواوينه. وانطلاقًا من محددين لهذه المواجهة، الأول: أنه لا توجد حقيقةٌ أو قيمٌ إنسانيةٌ خارج أفريقيا. والثاني: أنه لا يمكن تلمس هذي القيم ومعاناة هذه الحقيقة إلا بالشعر. وقام الدارس بتحليل صورتين؛ الأولى: (صورة العصر) عند الشاعر فوجدها شكلاً للواقع المأساوي المستمر في القرن العشرين المرفوض لديه لأنه من صنع الإنسان الأبيض الذي استغل الإنسان الأسود. وهكذا تستحيل أفريقيا عند الشاعر إلى (أرض الخلاص). أما الصورة الثانية: فهي (صورة المدينة) التي تبدو وجهًا من وجوه الحديث عن قضيته الكبرى مع العالم المعاصر. ولذا لا نجد اختلافًا كبيرًا -في الفساد وانعدام القيم الأخلاقية-بين المدينة العربية والغربية الحديثة. ويجد الباحث أن الصراع بين الأسود والأبيض هو وجهٌ آخر لمعاناة الشاعر مع الحضارة المعاصرة؛ إلا أن نقمته لا تشمل كل البشر البيض؛ بل المستعبدِين الظالمين منهم الذين تسببوا في هذه المآسي التي لا شفاء لها إلا الثورة التي ستغير هذا الواقع المرير، وتسمح للإنسان الأسود أن يكتب تاريخه من جديد. ومن هنا يؤكد الباحث أن تجربة الفيتوري هي تجربةٌ فريدةٌ ومتميزةٌ في الحركة الشعرية العربية المعاصرة على الإطلاق.

وكذلك؛ قدم وفيق خنسة (1984)، دراسة "الفيتوري في مدار الغربة"، وتحدث فيها عن قضية (الغربة) عند الفيتوري من خلال تحديد موقع أفريقيا لديه، وكيفية تناوله لمشكلات اللون، والانتماء، والأوروبي الأبيض، وغيرها، في كتاباته. ومن خلال دراسته لمحوري غربة اللون (الزنوجة)، والمكان (غربة المثقف في المجتمع)، توصل الباحث إلى أن الزنوجة هي الجذر العميق لغربته وعذابه، بالإضافة لنشأته في مجتمعٍ غير منفتحٍ اجتماعيًّا. وقد زادهما الشاعر عمقًا من خلال إحباطه وعزلته وشعوره بالدونية والنقص أمام الرجل الأبيض؛ مما برر طغيان مفردات الكآبة على قصائده، وافتقار شعره للحداثة

والغنى الداخلي. ويرى الدارس كذلك أن الشاعر أخطأ في فهمه للواقع ولمسألة التمييز العنصري حين طرح مشكلة اللونطرحًا فرديًّا، وعرقيًّا؛ منطلقًا من أيديولوجياتٍ بروجوازيةٍ تعتمد المعايير الرأسمالية في الحياة والجمال. وقد تطور لديه هذا الفهم قليلاً؛ حيث حدَّد انتماءه للأمة العربية والسودان، وبدأ يرى في الاستعمار الأوروبي تشكيلاتٍ اجتماعيةً. لكنه وقع في الفهم الشرقي التقليدي للعدو، والمرأة، والشاعر الحكيم. وبالنسبة لتجربة الشاعر الصوفية في ديوانه (معزوفةٌ لدرويشٍ متجوّلٍ)؛ رأى الدارس أنها لم ترتفع لمستوى ما تركه رواد الصوفية الأوائل. كما رأى أن أسلوبية الشاعر توزعت على: المدرج الرومانسي الحزين، والديني المتواشج معه، والتراثي الاتباعي، والحداثة الشكلية؛ مما جعل من شعره جسرًا حقيقيًّا بين القديم والجديد.

وتعمَّق محمد السرغيني (1996) في دراسة قضية (الزنجية) في تجربة الشاعر في بحثه المعنون "الزنوجة في شعر محمد الفيتوري". حيث استعرض في البداية، سيرته، ورحلته الشعرية، متحسسًا آثار هذه القضية في حياته وشعره، من خلال تقسيم مسيرته الشعرية إلى مراحل ثلاث، هي الزنجية، والصوفية، والنضالية العروبية. وقد ركز الكاتب على دراسة المرحلة الأولى التي مثلت ظاهرةً غريبةً في الأدب العربي المعاصر لجدة موضوعها. ورأى أن الشاعر قد عالج موضوع الأفريقية ساعيًا إلى كشف الحقيقة السوداء ليلتحم ذلك بثقافته الخاصة، من خلال أربعة أعمالٍ ضمتها هذه المرحلة؛ هي: (أغاني أفريقيا، عاشقٌ من أفريقيا، اذكريني يا أفريقيا، وأحزان أفريقيا). وتمثل هذه الأعمال رحلةً غنائيةً تبدأ من أفريقيا وتنتهي بها، آخذةً من المشهد الأفريقي المميزات التالية: الذاتية، والغنائية، واستمداد الصور من الاتجاه الرومانسي العربي، والرؤية ذات المسحة الإسلامية. وقد شكّل ذلك كله ما سماه الكاتب (الزنوجة الفيتورية) التي كانت لها مطالب خاصة اتسمت برؤيةٍ رومانسيةٍ لا أيديولوجية. ومضى الكاتب في استنباط مظاهر رؤيته تلك وتحليل أدواتها في أعمال الشاعر الإبداعية في هذه المرحلة، مؤكدًا في نهاية دراسته على أن زنوجة الشاعر تمثل انتماءً إثنيًا لا أيديولوجيًا.

وزاد بنعيسى بوحمالة (2004) هذه القضية تفصيلاً وتوضيحًا في كتابه "النـــزعة الزنجية في الشعر السوداني المعاصر؛ محمد الفيتوري نموذجًا". فدرس فيه محدِّدات الهوية الزنجية وكيفية استعادتها، من خلال تناول الفيتوري نموذجًا للدراسة التي يصلح تعميم نتائجها على جماع الشعر السوداني المعاصر الموسوم بنزعته الزنجية، والذي يظل الشعر العربي الوحيد الذي يجمع بين ولائه للعروبة وولائه للزنجية، أي بين رؤيتين للعالم. مبررًا اختياره له بوفرة الكم الشعري لديه في هذا المضمار، وتخصيصه أربعة أعمال في مفتتح تجربته الشعرية للتعبير عن نزعته الزنجية. وهذه الأعمال هي: (أغاني أفريقيا، عاشقٌ من أفريقيا، اذكريني يا أفريقيا، وأحزان أفريقيا)، وهي الأعمال التي قام الكاتب بتحليلها في هذه الدراسة. مقسِّمًا إياها إلى مبحثين؛ الأول هو المستويات البنائية الشكلية في المتن؛ ودرس فيه المستوى اللفظي، والتركيبي، والإيقاعي، ومستويات بنائية أخرى. أما المبحث الثاني؛ فكان المستوى الدلالي في المتن، ودرس فيه محورين؛ الأول (بنية تدمير الهوية) من خلال تحليل دلالة الاسترقاق، والاستعمار، والميز العنصري. والثاني (بنية استعادة الهوية) من خلال تحليل دلالة الحرية والثورة، والإنسان. وقد انصبَّت الدراسة على تجلية مظاهرالنزعة الزنجية في المستويات الشكلية والدلالية لنصوص الأعمال المتناولة، موظفةً المنهج البنيوي التكويني في إنجاز ذلك. ومؤكدةً أن الفيتوري يبقى أحد أبرز العلامات التي بواسطتها التفت النقاد والقراء إلى التجربة الشعرية السودانية بعامة.

وبهذه الدراسة، يصل الباحث إلى أقرب نقطةٍ من قضية البحث وهي (قضية الاستعباد)، من خلال تناول الدارسين لأحد أهم مكونات هذه القضية وهي (الزنجية)التي تعد أحد أهم المنطلقات في دراسة قضية (الاستعباد في شعر الفيتوري) وليست هدفًا بذاته.

الخلاصة

قام هذا البحث بعرض جهود الدارسين لقضية (الاستعباد) التي تعتبر القضية المحورية في حياة الشاعر محمد الفيتوري، بوصفه أسبق الشعراء العرب إلى تناول قضيتي (أفريقيا،

والزنجية) نوعًا وكمًّا. وقد كشف عرضنا السابق للدراسات التي دارت حول الشاعر، عدم تناسبها الزمني –كمًّا ونوعًا–معمكانة الشاعر الفنية والأدبية، ومع أهمية القضايا التي تناولها في شعره بتمكنٍ واقتدارٍ فنيٍّ؛ مما يُحتاج معه إلى تفسيرٍعلميٍّيحمل عبئه بحثٌعلميٌّ مستقلٌّ. كما أظهر استقراء تلك الدراسات؛ تنوعها ما بين الدراسات العامة، والتذوقية، والنقديةالتي غلبت على مجمل الدراسات بشكلٍ عامٍ، كما أظهر تباينها في مقدار تناولها لشعر الشاعر وذلك بحسب نوع كل دراسةٍ، وهدفها؛ ففضَّل كثيرٌ من الدارسين تناول عدة دواوين للشاعر، وتناول بعضهم ديوانًا واحدًا له، فيما اقتصر آخرون على نصٍّ واحدٍ. وقد تنوعت أساليب تلك الدراسات فيتناولها، واعتمادها لمعايير مختلفةٍ في تتبع حياته وتحليل شعره، وخرجت عنهما؛ بالعديد من النتائج المهمة.

ورغم ذلك، يرى الباحث أن قضية (الاستعباد في شعر الفيتوري) لم تحظَ –وفي حدود علمه–بدراسةٍ أدبيةٍ مستقلةٍ، تتناولها باعتبارها قضيةً محوريةً لدى الشاعر؛ مع الاعتراف أن عددًا من الدراسات السابقة قد تقاطعت معها في عددٍ من المحاور والمنطلقات، كالهوية، والاغتراب، والزنوجة، والاستعمار، وتناولتها كظواهر أدبية أو نفسية أو اجتماعية صبغت بعض المراحل في شعر الشاعر، أو تناولتها في إطار البرهنة على وجودها في الشعر العربي من خلال نـــَمذجة الشاعر، أو دراسته ضمن آخرين؛ بينما يرى الباحث أنها مكوناتٌ لقضيةٍ أكبر، وجذورٌ لأزمةٍ أعمق لدى الشاعر، وهي قضية (الاستعباد) التي امتدت في شعره كله، وظهرت بقناعٍ مختلفٍ في كل مرحلةٍ من مراحله الشعرية. ولذا؛ يوصي الباحث بدراستها كرؤيةٍ مستقلةٍ صدر عنها الشاعر، وصبغت مراحله الشعرية كلها؛ لكشف هذا الجانب المهم من تجربته الشعرية الخصبة. وهو ما يُبقي الحاجة قائمةً لتناول هذا الموضوع بدراسةٍ علميةٍ وافيةٍ شافيةٍ، وفق منهجٍ بحثيٍّ حديثٍ.

قائمة المراجع

القرآن الكريم.

آبادي، ليلا قاسمي حاجي. (2013). القومية في أشعار محمد الفيتوري. فصلية دراسات الأدب المعاصر. سنة4. عدد15. ص97-111. [http://cls.iranjournals.ir16 مايو 2014].

البجاوي، عبد الرحمن. (1964). أفريقيا في الشعر العربي. مجلة الرسالة. عدد 1085. سنة22. القاهرة: الثقافة والإرشاد القومي. ص36-40.

بقاعي، إيمان يوسف. (1994). الفيتوري؛ الضائع الذي وجد نفسه. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

بنعمارة، محمد. (2001). الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر. ط1. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع.

بوحمالة، بنعيسى. (2004). النزعة الزنجية في الشعر السوداني المعاصر؛ محمد الفيتوري نموذجًا. ط1. الرباط: اتحاد كتاب المغرب.

الترمانيني، عبد السلام. (1979). الرِّق؛ ماضيه وحاضره. الكويت: عالم المعرفة.

جمعة، عايدي علي. (2012). شعر محمد الفيتوري؛ الرؤية والتشكيل. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الحاج، نسيبة محمد الإمام. (2012). تجربة الفيتوري الشعرية دراسة تحليلية. رسالةٌ مكملة للحصول على الماجستير. كلية التربية. جامعة الجزيرة. السودان.

خنسة، وفيق. (1984). الفيتوري في مدار الغربة. مجلة الموقف الأدبي. عدد153-154. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ص91-117.

رضا، جليلة. (1989). وقفة مع الشعر والشعراء. ج2. ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزهيري، قاسم. (1972). نظرات في الفكر الزنجي. مجلة الثقافة المغربية. عدد 6. ص 48.

السرغيني، محمد. (1996). الزنوجة في شعر محمد الفيتوري. ترجمة: حسن الغرفي. مجلة الموقف الأدبي. عدد 108. سنة 26. ص46-74. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

السلمي، عبد الله؛ الغوث، مختار. (2014). منهج البحث في اللغة والأدب. ط2. خوارزم العلمية.

الشطي، عبد الفتاح عبد المحسن. (2001). شعر محمد الفيتوري؛ المحتوى والفن. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

الشعار، سلطان عيسى. (2007). التراث في شعر محمد الفيتوري. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة مؤتة. الأردن.

الشيخ. غِـــرِّيد. (2008). أيام مع الفيتوري. سلسلة أيام معهم. ط1. بيروت: النخبة للتأليف والترجمة والنشر.

صبحي، محيي الدين. (1999). الشعر طقس حضارة؛ دراسة لنتاج: جوزف حرب، محمد الفيتوري، أحمد المحاطي، معين بسيسو، عمر أبو ريشة.ط1. دمشق: وزارة الثقافة السورية.

صالح، نجيب. (1984). محمد الفيتوري والمرايا الدائرية. ط1. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

ضيف، عبد المالك. (1998). محمد الفيتوري؛ دراسةٌفي البناء الشعري. رسالة ماجستير. قسم اللغة العربية وآدابها. كليةالآداب واللغات.جامعة منتوري.قسنطينة.

طاهر، حامد. (1999). محمد الفيتوري. (سلسلة شاعر ومختارات). القاهرة: مكتبة الآداب.

طنّوس، جان نعوم. (2009). صورة الحب في الشعر العربي الحديث؛ دراسة تحليلية نقدية: توفيق صايغ، محمد الفيتوري، أدونيس، محمد الماغوط، أنسي الحاج. ط1. بيروت: دار المنهل.

الطيب. أبو صباح علي. (2004). شعرمحمدالفيتوري دراسة فنية. رسالة دكتوراه. جامعة أمدرمان. السودان.

قوبعة، محمد. (1990). النص الأدبي بين الدلالة والإبداع الفني؛ قصيدة "أحزان المدينة السوداء" لمحمد الفيتوري نموذجًا. وقائع الملتقى القومي المنظم بصفاقس (قراءة النص بين النظرية والتطبيق). تونس: المعهد القومي لعلوم التربية. 309-340.

كرم الدين عبد الرحمن أحمد إسماعيل. (2012). السردي في شعرالفيتوري؛ قصيدة "مقتلا لسلطان تاج الدين نموذجًا". مجلة العلوم العربية. عدد 25. ص190-240.

محمد، عوض حسن علي. (2012). الشعر السياسي في العالم العربي؛ الفيتوري أنموذجًا. رسالة دكتوراه. قسم الأدب والنقد. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا. السودان.

محمدية، أحمد سعيد. (2008). محمد الفيتوري؛ ملامح من سيرةٍ مجهولةٍ. ط1. بيروت: دار العودة.

منصور، محمد إبراهيم. (1996). الشعر والتصوف؛ الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر 1945-1995. دار الأمين.

منصور، مناف. (1975). تجربة المدينة عند الفيتوري. مجلة قضايا عربية. عدد6. سنة2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص129-138.

منصوري، زينب. (2011). ديوان أغاني أفريقيا لمحمد الفيتوري؛ دراسةٌ أسلوبيةٌ. رسالة ماجستير. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة الحاج لخضر. الجزائر.

موسى، منيف. (1985). محمد الفيتوري؛ شاعر الحس والوطنية والحب. ط1. بيروت: دار الفكر اللبناني.

نعمان، عادل عبد الرقيب محمد. (2006). النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر. رسالة ماجستير. قسم الدراسات الأدبية واللغوية. معهد البحوث والدراسات العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. جامعة الدول العربية. القاهرة.

هدارة، محمد، (1972). الشاعر الحديث في السودان.ط1. بيروت: دار الثقافة العربية.

يعقوب، يعقوب عبد الله الشيخ، (2009). الشعر المسرحي في السودان؛ عبد الله الطيب والفيتوري أنموذجًا. رسالة دكتوراه. جامعة أم درمان. السودان.

Zamri Arifin, Ph.D.
Prof. Madya
Jabatan Bahasa Arab dan Tamadun
Fakulti Pengajian Islam
Universiti kebangsaan Malaysia
43650 Bangi, Selangor, Malaysia
E-mail: abuzaim@ukm.edu.my

Imad Hamzah Mukhtar al-Rabi'
Jabatan Bahasa Arab dan Tamadun
Fakulti Pengajian Islam
Universiti kebangsaan Malaysia
43650 Bangi, Selangor, Malaysia